

الإعجاز القرآني عند المفسرين والفلاسفة (دراسة موازنة)

The Qur'anic Miracles among the Interpreters and Philosophers:
A Comparative Study

أ.م.د. مياس ضياء باقر

D. Mayas.dhiala Baqer

جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

University of Baghdad / College of Education Ibn Rushd for Humanities

Department of Quranic Sciences

ملخص البحث

ان القرآن الكريم وان كان امراً خارقاً للعادة كبقية المعجزات الا انه لا يخضع لقانون العلية أو السببية كبقية المعجزات؛ لأن العلة الأساس له هو الله تعالى، لا انه من صنع النبي؛ لذا لا يمكن ان يشمل تعريف الاعجاز فلسفياً اعجاز القرآن؛ لأنه نزل من الله مباشرة على قلب النبي (محمد ﷺ) فعلته علة العلة وهو الله تعالى، نعم يصدق عليه تعريف اهل التفسير وعلماء الكلام من أنه خارق للعادة يعجز الآخرون على أن يأتوا بمثله مع صدق دعوى المدعي.

Abstract:

an alquran alkarim wan kan amraan kharqaan lileadat kabaqiat almuejizat ala anah la yakhdae liqanun alsababiat 'aw alkantuniat kabaqiat almuejizat ; li'ana alealah al'asas lah hu allah taalaa , la anah min sune alnabii ; la yumkin 'an yashmal taerif aliaiejaz flsfiyaan aejazz alquran ; li'anah nazal min allah mubasharatan ealaa qalb alnabii (muhamad salaa allah ealayh wasalama).

* * *

المقدمة

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه والصلاة والسلام على خير بريته كلها محمد واله الطاهرين وصحبه الاخيار الابرار.

أما بعد؛ فإن من أهم الموضوعات التي إن ثبتت ثبت ما سواها وإن لم تثبت لم يثبت ما سواها هي المعجزة على نحو المصداق لما للمعجزة من أهمية بالغة حيث انها تحدد مسار الامم وتكشف الظلمة وتنير الدروب وتهدي العمي وترشد الضال.

وبها يتضح الصادق من الكاذب ويعرف الدعي من المتثبت فهي فارق بين الحق والباطل فصدق المعجزة - بعد خضوعها للشروط التي سنذكرها - دلالة واضحة على صدق من يدعي النبوة والتصديق بمن يدعي النبوة يعني التصديق برسالة هذا النبي وما تشتمل عليه هذه الرسالة من اصول الدين وفروعه، وكل ما يترتب على ذلك.

ولبيان الاعجاز القرآني عند المفسرين والفلاسفة ولما له من أهمية في وقتنا الحاضر قمت بكتابة هذا البحث وقد قسمته على ثلاث مباحث.

بينت في المقدمة أسباب كتابة البحث ودواعيه وذكرت فيها تقسيم البحث. فقد ذكرت في المبحث الاول تعريف الإعجاز عند المفسرين، واما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه الاعجاز عند الفلاسفة. وفي المبحث الثالث ذكرت فيه ان الاعجاز القرآني او اعجاز القرآن انما ينطبق عليه تعريف المفسرين لا

تعريف الفلاسفة ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها اهم ما توصلت اليه من نتائج .

المبحث الاول

الإعجاز عند المفسرين

* * *

عرف الطبرسي الإعجاز في تفسيره بقوله: (أن يأتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزاً)^(١) .

اما الشيخ الطوسي فقد عرفه بـ (إن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه وانما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدعي اذا امكن ان يكون صادقاً في تلك الدعوى واما اذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل او بحكم النقل الثابت عن نبي او امام معلوم العصمة فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق ولا يسمى معجزاً في الاصطلاح وان عجز البشر عن امثاله وقد يدعي احد منسباً الهياً ثم يأتي بشيء يعجز عنه غيره من البشر ويكون ذلك الشيء شاهداً على كذب ذلك المدعي كما يروى أن مسيلمة الكذاب تفل في بئر قليلة الماء ليكثر ماؤها فغار جميع ما فيها من الماء وانه أمر يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنكهم فأصاب القرع كل صبي مسح رأسه)^(٢)، وعن القرطبي في تفسيره يقول: (سميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ١٥٠/٤

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١٧/١.

عن الاتيان بمثلها^(١) .
 وقد قسم مصطفى صادق الرافعي الإعجاز الى
 شيئين فقال: (انما الإعجاز اتيان ضعف القدرة
 الانسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة
 الانسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف
 على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز
 الانساني واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغ
 ما بلغت)^(٢) .
 واما السيد الشهيد محمد باقر الصدر فقد عرفه:
 (ان يحدث النبي تغييراً في الكون يتحدى به القوانين
 الطبيعة التي تثبت عن طريق التجربة والحس وهي
 بذلك خارقة لنواميس الطبيعة وغير ما تعود عليه
 اهل الدنيا والماديون والمنكرون للقدرة الالهية)^(٣) ،
 وعرفه السيد ابو القاسم الخوئي في تفسيره البيان
 بأن (يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية
 بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً
 على صدق دعواه)^(٤) .
 وبالجملة نقول :إن مما تبين من التعريفات
 المذكورة آنفاً أن الإعجاز وان اختلفت تعريفاته عند
 المفسرين، أختلافاً بسيطاً لا يوجب التصادم الا
 انهم متفقون على أن الإعجاز هو ما توافرت فيه ثلاثة
 اركان مهمه وكل واحد منها يكون على نحو جزء علة
 فاذا فقد واحد من تلك الاركان فانه لا يدخل تحت
 تعريف الإعجاز وهي كما يأتي:
 اولاً: ان يكون الإعجاز خارقاً للعادة ونواميس
 الطبيعة .
 ثانياً: ان يكون مما لا يقدر عليه البشر أن يأتي
 بمثله .
 ثالثاً: ان يكون صاحبه صاحب دعوى إلهية
 ويكون صادقاً في دعواه.
 وهنا لا بدّ من الالتفات الى أمر في غاية الاهمية
 وهو تحديد المعجزة بزمن معين وهو زمن التحدي
 او زمن حياة المدعي ؛لأننا نعلم جيداً ان بعض
 المعاجز التي حصلت للأنبياء في الزمن المتقدم قد
 اتى بها بعض اولياء الله تعالى من بعدهم وهذا مما
 يخرق تعريف الاعجاز فلا يجعله تعريفاً جامعاً مانعاً.
 نعم الا ان يقال حتى لو جيء بها او بمثلها فيما
 بعد على يد الاولياء فان الاعجاز باق ؛لان الدعوى
 واحدة وهي صادقة فكلاهما يدعو الى الله تعالى.
 ومما تجدر الاشارة اليه ايضاً ان القرآن الكريم لم
 يستعمل مفردة الإعجاز على الاطلاق وانما استعمل
 مشتقات كلمة (عجز) في ست وعشرين مرة ولم يرد
 استعمال معجزة او اعجاز في القرآن ولم يكن هذا
 الاصطلاح معروفاً في عهد النبوة والصحابة وانما
 عرف في اواخر القرن الثاني للهجرة تقريباً^(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن , القرطبي: ٦٩/١.

(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي: ١٣٩.

(٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ٢٨١.

(٤) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٤١.

(٥) مباحث في اعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم: ١٣.

المبحث الثاني

الإعجاز عند الفلاسفة

فيما تقدم كان الكلام بخصوص الإعجاز عند المفسرين وتبين من كلامهم وشروطهم التي قيدوا فيها تعريف الإعجاز بانه ليس كل امر ممكن ان نطلق عليه اعجازاً الا بالشروط التي ذكروها، ومن دون تحقق تلك الشروط ولو على نحو جزء علة لا العلة التامة لا يمكن ان نطلق عليه انه امر اعجازي؛ لأن المشروط عدم عند عدم شرطه، فاذا انعدم شرط واحد من الشروط التي وضعها المفسرون انتفى كون هذا الشيء معجزاً.

والإعجاز عند الفلاسفة يختلف عما ذكره المفسرون في نقطة جوهرية، فالفلاسفة لا يتفقون مع المفسرين في التعريف تمام الاتفاق وهذا ما سيتضح بيانه من تعريف الفلاسفة للإعجاز، ولعل سبب ذلك الاختلاف راجع الى اختلاف مباني كل منهما.

فالإعجاز عند الفلاسفة هو: (تحقق الامر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الامر المبطل لضرورة العقل)^(٧)، فمفهوم الإعجاز عند المفسرين يفترض وجود دعوى ومدعٍ للسفارة الالهية، وان تكون

(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧٥/١.

لكن القرآن الكريم ذكر بعض المفردات بغير لفظة المعجزة واراد بها المعجزة منها^(١) :

١. ذكر لفظة (الآية) واراد بها المعجزة كما في قوله تعالى: { وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ }^(٢).

٢. ذكر لفظة (البينة) واراد بها المعجزة كما في قوله تعالى: { ... قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ }^(٣).

٣. ذكر لفظة (البرهان) واراد بها المعجزة كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا }^(٤).

٤. ذكر لفظة (السلطان) واراد بها المعجزة كما في قوله تعالى: { ... وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... }^(٥).

وقال تعالى: { ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ..... }^(٦).

* * *

(١) دراسات في علوم القرآن، فهد عبد الرحمن الروحي: ٢٥٩.

(٢) سورة الانعام: ١٠٩.

(٣) سورة الاعراف: ١٠٥.

(٤) سورة النساء: ١٧٤.

(٥) سورة ابراهيم: ١١.

(٦) سورة المؤمنون / ٤٥.

محال عقلاً؛ لأن العقل يحكم باستحالة وقوع مثل هذه الامور أو حدوثها.

والاخر: خارق للعادة لكنه ليس مستحيلاً عقلاً وان كانت هذه الامور غير المستحيلة عقلاً تخالف القواعد العادية أي: انها خارقة للعادة ومستحيلة حسب الادوات والاجهزة العادية، والمجاري الطبيعة فهي مع ذلك ليست مستحيلة عقلاً لو كان هناك ادوات اخرى خارجة عن نطاق العادة.

فمثلاً نقل جسم كبير جداً من مكان بعيد الى مكان بطرفة عين هذا امر غير ممتنع عقلاً ولكنه محال عادةً ، ومن هذا القبيل ما يحكيه القرآن من قيام من اوتي علماً من الكتاب بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن الى الشام بطرفة عين بلا توسط شيء من تلك الاجهزة المادية المتعارفة اليوم.

فخرق العادة لا يعني خرق قانون العلية والسببية كما يفهم من تعريف المفسرين للإعجاز وغيرهم من اهل الكلام خصوصاً الاشاعرة ، وانما المقصود هو خرق القوانين التي تعارف عليها الناس في عالم المادة فالأمور التي نسبت الى الانبياء (ص) في الكتب السماوية والسير التاريخية كانقلاب العصا الى حية تسعى وابراء الاكمه والابصر على يد عيسى عليه السلام وتسبيح الحصى في كف النبي محمد ﷺ .

ان هذه الامور وغيرها لا تعني خرق قانون العلية العام ، بل كل ما في الامر ان الامر المعجز قد صدر من علة لكنها ليست هي العلة المتعارفة عند الناس او انه قد صدر من علة مخفية عن الناس فإبراء الاكمة

المعجزة شاهداً على صدق دعواه، اما المعجزة بمفهومها الفلسفي فهي لا تفترض شيئاً من ذلك أي: لا يتحقق الإعجاز ولا يكون الامر معجزاً عند الفلاسفة الا كونه خارقاً للعادة لا ينسجم مع قوانين عالم الطبيعة والمادة وسننهما^(١) .

وعبارة (خرق للعادة) قد تداولها المفسرون في تعريفاتهم وشروطهم للإعجاز ، وهاهم الفلاسفة يتناولونها ايضاً في تعريفهم للإعجاز وهنا يكمن محل الاختلاف في الاعجاز بين الفلاسفة والمفسرين وغيرهم من اهل الكلام فمعنى خرق للعادة عند المفسرين يختلف تماماً عند الفلاسفة. إذ ان خرق العادة عند المفسرين هو مما لا علة ولا معلول فيه ولا يستند الى قانون العلية والسببية .في حين ان خرق العادة عند الفلاسفة يعني خرقاً لما الفناه في حياتنا اليومية وما اعتدنا عليه اذ هو ليس امراً استثنائياً من قانون العلية من الارتباط الوثيق بين العلة والمعلول^(٢) . وقد قسم العلماء الخارق للعادة على قسمين^(٣):

الاول :خارق للعادة مضاد للعقل تماماً ، كاجتماع النقيضين على محل واحد في زمان واحد ، وارتفاعهما كذلك ، او كوجود المعلول من دون علة ، او انقسام الثلاثة الى عددين صحيحين ، وهذا كله

(١) ينظر : الاعجاز بين النظرية والتطبيق، السيد كمال الحيدري: ١٩.

(٢) ينظر: الامثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٢٤٢/١.

(٣) ينظر: محاضرات في الالهيات، جعفر السبحاني: ٢٥٨.

والابصر مثلاً يحصل عند الناس من خلال تناول الدواء المخصوص الا ان ذلك لا يمنع من ان يكون للإبراء علة اخرى مخفية لم يطلع عليها الناس في عالمهم الطبيعي المتعارف عندهم.

قال ابن سينا: (وكما أن العارف او الولي يستطيع إن يأتي بأخبار الغير، ويحصل على العلم اللدني عن طريق هذا الاستعداد، كذلك يمكنه ان يتحكم في الظواهر الكونية او في العالم العنصري فيأتي بالخوارق أو الكرامات، ذلك لأنه اذا استعملت على قوة جسم تتجه اليه بالتأثير وتستطيع ان تفعل في اجرام اخرى، تتفعل عنها انفعال بدنها فتحدث زلزال او خفاً او انحرافاً...، فلا تستبعدن ان يكون لبعض النفوس ملكه يتعدى تأثيرها بدنيها وتكون لقوتها كأنها نفس العالم) (١).

وقال ابن رشد: (ان رفع المسببات مبطل للعلم رافع له، اذ يلزم انه لا يكون لها هنا شيء معلوم اصلاً علماً حقيقياً، بل ان كان ثمة علم فهو علم مضمون، وليس للعقل شيئاً اكثر من ادراك الموجودات باسبابها وبه يفترق عن سائر القوى المدركة، فمن رفع الاسباب فقد رفع العقل...) (٢).

ويقول ايضاً: (ان النظر العقلي لا يؤدي الى مخالفة ما ورد عن الشرع فأن الحق لا يضاد بل يوافقه

(١) الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، ص ٨٩١ - ٨٩٢، وينظر: الاشراف الإلهي في الفكر الإسلامي، فضيلة عباس مطلق، ص ١١٤.

(٢) تفسير ما بعد الطبيعة، ابن رشد، مجلد الثاني، ص ٧١١ - ٧١٤.

ويشهد به) (٣).
فالمعجزة عند الفلاسفة هي صدور المعلول من علة مخفية او مختلفة لم يعرفها او يشاهدها الناس وليس صدور المعلول من غير علة (٤)، فالمعجزة ليست نقصاً لقانون العلية العام؛ اذ المنفي في الإعجاز هو العلة المادية المتعارف عليها التي ظهرت وعرفها العالم الطبيعي والتي اعتاد عليها الانسان في مشاهداته كل يوم ولكن لا تمنع ان يكون للمعجزة علة اخرى لم يشاهدها الناس من قبل ولم يعرفها العلم ولم تقف عليها التجربة، وان المعجزة وفق هذا المنظار لا تضعع برهان النظام الذي يستدل به على وجود الصانع؛ لأن الإعجاز ليس خرقاً لجميع النظم السائدة على العالم، وانما هو خرق في جزء من اجزائه غير المتناهية الخاضعة للنظام والدالة على وجود الصانع (٥).

وقانون العلية قانون أقره القرآن الكريم وصدقه من خلال آيات كثيرة وسور متعددة يقول الطباطبائي في هذا المجال: (ان القرآن يثبت للحوادث الطبيعية اسباباً ويصدق قانون العلية العام كما تثبته ضرورة العقل وتعتمد عليه الابحاث العلمية والانظار والاستدلالية... الى ان يقول: وتصديق هذا المعنى ظاهر في القرآن الكريم فيما جرى عليه وتكلم فيه من موت وحياء ورزق وحوادث اخرى علوية سماوية

(٣) مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص ١٣٤.

(٤) ينظر: الاعجاز بين النظرية والتطبيق، السيد كمال

الحيدري: ١٩-٢٠.

(٥) ينظر: محاضرات في الالهيات، جعفر السبحاني: ٢٦٣.

المبحث الثالث

القرآن معجزة عند المفسرين فقط

إن من انعم النظر وامعن الفكر في جميع الآيات التي تتحدث عن معجزات الانبياء ﷺ يجد ان ثمة امراً في تلك الآيات وهو ان القرآن الكريم على الرغم من ذكره لكثير من معجزات الانبياء ﷺ الا انه لم يلفظ عبارات التحدي والاحتجاج الصريح الا في تحديه بالقرآن الكريم نفسه، فمثلاً في معجزة موسى والسحر هو لم يذكر لفظة التحدي ولم يقل بأن موسى سيأتي بشيء يعجز عنه قومه من ان يأتوا بمثله وكذا الحال في معجزة عيسى لكننا نلاحظ بوضوح انه ذكر الفاظ التحدي في معجزة القرآن الكريم بل نجد انه قد تدرج في التحدي معهم على حين ان ذلك لم يكن واضحاً في المعجزات التي تقدمت على معجزة القرآن .

لذا نجده يقول تبارك اسمه في التحدي الصريح:
{قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (٣) ، ثم تنزل قليلاً فقال تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ .. } (٤) ، ثم قال بعد ذلك: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

او سفلية ارضية) (١) ، ونسف قانون العلية او تعطيله في مجال دون اخر يهدد بمخاطر عقائدية لا تحمد عقباها خصوصاً في مسألة علة العلل او مسبب الاسباب وهو الله تعالى واجب الوجود ومفيض الحياة لكل شيء ، يقول السيد مصطفى الخميني في تفسيره: وانكار قانون العلية معناه انكار ما هو الحق في معنى العلية في العالم وما هو حقيقتها وبالتالي انكار للعلة العالية وهو الله تعالى (٢) .

* * *

(٣) سورة الاسراء: ٨٨.

(٤) سورة هود: ١٣.

(١) الميزان، الطباطبائي: ٣٩/١.

(٢) تفسير القرآن، السيد مصطفى الخميني: ٣٩٣/٤.

المستقبل من ان التطور العلمي والحضاري سوف يدرك معاجز الانبياء (ع) ويعرف العلل المخفية ولكنه وان وصل ما وصل اليه من التطور والتكنولوجيا الا انه لا يدرك اعجاز القرآن والعلة التي سببها كان القرآن معجزاً

الثانية: ان القرآن الكريم انزله الله تعالى على اشرف خلقه واكرمهم واعظمهم وهو النبي محمد ﷺ وكذلك نلاحظ بوضوح ان الله تعالى لم ينزل القرآن على الواح او ما شابه ذلك كما فعل في التوراة وغيرها من صحف ابراهيم وغير ذلك وانما انزل القرآن على اشرف عضو في جسد النبي محمد | وهو قلبه كما قال تعالى {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} (٤)، وكذلك قوله تعالى: {... فَأَنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...} (٥) كل هذا يعطي قوة في التحدي وديمومة في الإعجاز والبقاء الى يوم الدين يقول الرازي في تفسيره: (ان معجزة رسولنا افضل من معجزات سائر الانبياء ﷺ فوجب ان يكون رسولنا افضل من سائر الانبياء ﷺ) (٦).

الثالثة: ان ما جاء به الانبياء من معاجز لم تكن خارقة للعادة على مرور الزمن فالأولياء الصالحين واصحاب الكرامات تكون لديهم معجزات قال تعالى: (وَهَزَّبْنَاهُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا) (٧) (... وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

فَأَتَوْا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} (١) والقرآن واضح وجلي في هذا المورد فهو في مقام التحدي في كل تلك الآيات لكنه لم يقف موقفاً صريحاً مخاطباً اقوام الانبياء ﷺ بمثل هذا التحدي الواضح.

ولعله والله العالم ان ثمة سبباً ممكن ان يقال في هذا المقام نفصل القول فيه على ثلاثة نقاط :

الاولى: ان القرآن الكريم يختلف عن معاجز الانبياء ﷺ بأنه معجزة خالصة من الله تعالى من دون ان يشترك العبد مع الرب كما قال تعالى: { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (٣).

وبعبارة اخرى ان النبي محمداً لم يتدخل قط في انزال القرآن او يتحكم فيه لا من قريب ولا من بعيد ولا بصغيرة ولا بكبيرة وهذا ما وضحه القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (٣) فالقرآن اذاً معجز ليس كبقية معاجز الانبياء الاخرين فهو معجزة خالصة من صنع رب العالمين لم يشاركه فيها احد كما هو الحال في معاجز الانبياء وان كان كل شيء بأذنه تعالى الا انهم قد فعلوا او صنعوا غير ذلك .

ووجود الفاظ التحدي في معجزة القرآن الكريم وعدم وجود مثل هذه الالفاظ في غيرها من المعاجز انما هو دليل على عدم تمكن البشر من الاتيان بمثله على مر الدهور والعصور، كذلك يمكن القول ان القرآن الكريم تحدى هنا ولم يتحد هناك لما يعلم في

(٤) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

(٥) سورة البقرة: ٩٧.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٢٢/٦.

(٧) سورة مريم / ٢٥

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٢.

(٣) سورة الحاقة: ٤٤-٤٦.

اما إعجاز القرآن فأننا نرى العكس من ذلك فإنه كلما تقدم الزمن وابتعد فأنا الناس تعجز أكثر من قبل عن ادراك القرآن الكريم فاذا تعذر على المتقدمين في الفصاحة والبلاغة فعل مثله فمن باب اولى ان يتعذر على المتأخرين في الفصاحة والبلاغة والبيان خصوصاً في زمن كثر فيه اللحن والركاكة والضعف اللغوي وانحطاط النظم وانعدام الذوق لأساليب الكتابة والتأليف.

فمعجزة القرآن ليست كبقية معاجز الانبياء التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأنبياء اذ بزوالهم تزول كل تلك المعاجز فعصا موسى مثلاً زالت بزوال موسى عليه السلام وهكذا مع عيسى عليه السلام وغيره، الامعجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فهي لا تزول ولن تزول بزوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وسبب ذلك ان الاعجاز في القرآن هو صفة لازمة وواجبة للقرآن بحيث يستحيل زوالها عنه كالحرارة مع النار والبرودة مع الثلج فهي لا تنفك ابداً؛ لان التلازم هنا تلازم ذاتي وجودي كلما وجد هذا وجد ذلك فعندما نقول: القرآن معجزة فإننا نحكم بثبوت المحمول لهذا الموضوع فما دام الموضوع موجوداً وهو القرآن كان المحمول ملازماً له في الوجود وهو الإعجاز.

بعد هذا كله يتضح جيداً ان القرآن الكريم وان كان امراً خارقاً للعادة كبقية المعجزات إلا انه لا يخضع لقانون العلية او السببية كبقية المعجزات التي تخضع كما بينا لقانون العلية العام؛ لأن العلة الاساس له هو الله تعالى لا انه من صنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لذا لا يمكن أن يشمل تعريف الإعجاز فلسفياً اعجاز

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١)،
(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ...) (٢)، وهم ليسوا بأنبياء لكنهم اتوا بما اتى به الانبياء من معاجز خارقة للعادة (٣)، إلا القرآن الكريم فلم يظهر الى يومنا هذا شخص ولم نسمع بذلك على الاطلاق انه قد جاء بما يشبه القرآن الكريم فضلاً عن القرآن نفسه وهذا المعنى اشار اليه الفخر الرازي بقوله (ان معجزته - يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم - هي القرآن وهي من جنس الحروف والاصوات وهي اعراض غير باقية وسائر معجزات سائر الانبياء من جنس الامور الباقية ثم انه سبحانه جعل معجزة محمد صلى الله عليه وآله وسلم باقية الى اخر الدهر ومعجزات سائر الانبياء فانية منقضية) (٤)، وكلما تقدم الزمن وتطورت الحياة العلمية استطاع البشر ان يأتي بما اتى به الانبياء عليهم السلام من معجزات كتحويل الشيء من صورة الى اخرى وغير ذلك فان بالإمكان في الوقت الحاضر الاتيان بشيء من مثله، ولو رآها اقوام الانبياء السابقين لعتبروها معاجز ولعل الزمن القادم يعرب لنا عن اشياء اكثر مما جاء به الانبياء عليهم السلام.

(١) سورة ال عمران / ٣٧ .

(٢) سورة الكهف / ١٧ .

(٣) ينظر: جامع كرامات الاولياء، القاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، ص ١٣ وما بعدها .

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي: ٥٢٢/٦ .

خاتمة

القرآن؛ لأنه لا يخضع لعلة او سبب معين؛ لأنه نزل من الله تعالى مباشرة على قلب الحبيب المصطفى ﷺ فعلته علة العلل وهو الله تعالى. نعم يصدق عليه تعريف اهل التفسير وعلماء الكلام من انه امر خارق للعادة يعجز الآخرون على ان يأتوا بمثله مع صدق دعوى المدعي.

لقد توصلت الباحثة الى جملة من النتائج اهمها ما يأتي:

١. ان الإعجاز يختلف تعريفه بين اهل الفن فهو عند اهل التفسير واهل الكلام لا يتطابق مع تعريف الإعجاز عند الفلاسفة.

٢. لم يهتم اهل التفسير في تعريفهم للإعجاز بقانون العلية العام او قانون السببية على العكس من الفلاسفة الذين اهتموا بقانون العلية في تعريفهم للإعجاز.

٣. إن ثمة معجزات قد تحصل لكنها على خلاف ما يدعيه صاحبها فلا تسمى هذه معجزة وان كانت خارقة للعادة كما حصل مع مسيلمة الكذاب.

٤. إن معاجز الانبياء ﷺ تلاشت بتلاشي الانبياء انفسهم فلم يبق لها اثر. اما معجزة القرآن فإن الإعجاز للقرآن باقٍ ببقاء القرآن ولا يتلاشى الإعجاز الا اذا تلاشى القرآن، فهو ملازم له تلازماً ذاتياً.

٥. الإعجاز القرآني ينطوي تحت تعريف المفسرين لا تحت تعريف الفلاسفة الذين يؤكدون على قانون العلية والمعلول او قانون السببية فالقرآن كمعجزة بنفسه لا يخضع لهذا القانون ذلك بانه من الله تعالى مباشرة.

* * *

* * *

المصادر

الخميني، تحقيق نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام
الخميني، ١٤١٨هـ.

١٠- تفسير ما بعد الطبيعة، ابن رشد، المطبعة
الكاثوليكية، د.ط. ١٩٣٨م.

١١- لجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي
ابو عبد الله محمد بن احمد ابى بكر بن فرج
الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)،
تحقيق: احمد البروني. ط ٢، الناشر: دار الكتب
المصرية- القاهرة، ١٩٦٤م.

١٢- دراسات في علوم القرآن، فهد عبد الرحمن
الروحي، ط ٤، ٢٠٠٣م.

١٣- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم،
دارالمسلم، ١٩٩٦م.

١٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ
ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط ٧، انتشارات
ناصر خسرو ١٤٢٧هـ.

١٥- محاضرات في الالهيات، الشيخ جعفر
السبحاني، تلخيص الشيخ علي الرباني، ط ٣،
مؤسسة الصادق، مطبعة اعتماد - قم.

١٦- المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر،
مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد
الصدر، ط ١، مطبعة شريعت - قم ١٤٢٩هـ..

١٧- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ابو عبد
الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي
(٦٠٦هـ) ط: ٣، دار احياء التراث العربي - بيروت،
١٤٢٠هـ.

١٨- مناهج الادلة في عقائد الملة، ابن رشد، ط ٢،

- القرآن الكريم.

١- الاشارات والتنبيهات مع شرح نصير الدين
الطوسي ابو علي ابن سينا، تحقيق : سليمان دنيا
القسم الثاني (قسم الالهيات)، دار المعارف، مصر،
١٩٧٥م.

٢- الاشراق الالهي في الفكر الاسلامي، فضيلة
عباس مطلق، دار النهضة العربية، بغداد، د.ت.

٣- جامع كرامات الاولياء، القاضي الشيخ يوسف
بن اسماعيل النبھاني، تصحيح: الشيخ عبد الوارث
محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤- الإعجاز بين النظرية والتطبيق، محاضرات
السيد كمال الحيدري، بقلم محمود الجياشي، ط ٢،
دار فرقد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى
صادق الرافي، ط ٩، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

٦- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ
ناصر مكارم الشيرازي، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ
٢٠٠٥م.

٧- البيان في تفسير القرآن، السيد ابو القاسم
الخوئي، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٨م.

٨- لتبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي
(ت ٤٦٠هـ)، تحقيق احمد حبيب العاملي، مكتبة
الامين، النجف الاشرف، ١٩٦٣م.

٩- تفسير القرآن الكريم، السيد مصطفى

مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م.

١٩- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد

محمد حسين الطباطبائي، ط: ٢، مؤسسه الاعلمي،

لبنان.

* * *